ضوء الماضي الجميل/يتساقط كالسنابل «ص 138

وميزة القصيدة في هذا اللون. بناءً دراميّاً أنها تأخذ بخطٍّ بيانيٍّ صاعدٍ، وينمو الضّراغ بين مستويات القصيدة ليشغل القارئ عن نفسه، فلا يستيقظ إلا وقد توقّفَ التفاعلُ على منتهاها.

وهناك البناء المتنامي بالتكرار اللفظي أو الرقمي أو المقطعي، وقد لا يجمع بين تلك المقاطع إلا الإيقاع الصائت أو الصامت. وقد تمتلئ بالتقابلات والتناقضات لتنتهي بمفاجأة قد تكون مسوّغ القصيدة برمتها. كقصيدة طارق عبد الواحد 3 « عازف »:

« العازفُ/يهبط السلّم.. نوتةً/نوتةً../ وينحني/ليغرفَ من زرقة السّماء/هناك.. كم كان الله وحيدا «ص99.

وفي المقطع الثالث يقول: « العازف../ يدخل في قوس الأشياء/يتنقّل على الألوان السبعة..»

ويرى الدكتور أحمد زياد محبّك في كتابه المهم «قصيدة النثر» 10:

« بناء قصيدة النثر يأخذ مناحي عديدة، فهو التصوّر الكلّي للقصيدة.. ص33 «ولقد تعدّدت أشكالُ البناء في قصيدة النثر، وهي لا تختلف كثيراً عن أشكال البناء في غيرها..

واختلافُ الشكلِ لا بدّ أن يتميز بتميّز أسلوب وتجربة صاحبه. مضيفاً ـ المحبك ـ إلى أشكال معماريةِ قصيدة النثر بناء الوحدات والبناء التراكمي، والبناء السردي والقصصي واللوحة الفنية.

وأذهبُ إلى رأي آخر يقول: إنّ لكلّ قصيدة مهما طغت الظاهرة خصوصيةً، جسداً وروحاً. ولا يجوز، وحريّة الإبداع هي الدستور الذي يحفظ للمبدع أن يتمتّع بصلاحياته كافةً في أن يخطّط ويبذر ويسقي غراسه كيفما شاء، فالإنسانُ كما يرى العديد من علماء النفس مكرّسٌ للتناقض اللحظي المستمرّ، وليس للقاعدة الحجرية الثابتة. وكذلك ليس للنَمذَجة فهي تقتل المحاولة ويتحوّل صاحبها إلى مجردِ ببّغٍ.

إنّ قصيدة النثر من منجزات الحداثة. وما دامت الحداثة هي قضية وجود فستبقى القصيدة تسعى باحثةً عن الكمال الذي لن تجده. فأجملُ القصائد لم يُكتب بعد بحسب ناظم حكمت وقد قال رامبو يوماً:

«معي وحدي مفتاحُ هذه الجنّة المتوحّشة».

الهوامش:

1 ـ أدونيس كتاب مقدمة للشعر العربي

2 ـ ديوان» ذاكم دمي وعليّ تشكيل النهار. منشورات اتحاد الكتاب العرب

3 ـ طارق عبد الواحد ديوان « نهايات « اتحاد الكتاب العرب2003

4 ـ ديان « نادي في الظلمات اتحاد الكتاب العرب 2006

5 ـ ديوان «وعل في الغابة «وزارة الثقافة 1983

6 ـ ديوان « ملهاة التجدد والأيام « محمد شيخ عثمان

7 ـ ديوان « جنة صغيرة «وزارة الثقافة 2002

8 ـ ديوان الصومعة والعنقاء «اتحاد الكتاب العرب2003

المراجع والمصادر:

ـ كتاب الثابت والمتحول ـ ل أدونيس

ـ وكتاب مقدّمة للشعر العربي ـ

ـ كتاب « قصيدة النثر « د. أحمد زياد محبك

ـ كتاب « ما هو الشعر» نزار قباني

ـ ديوان « المركب النشوان ل رامبو

ـ وولت ويتمان. ترجمة عارف حديفة 1984

عرب الولايات المتحدة الأمريكية أسهموا في اكتشافها وبنائها

• عبد النبي اصطيف

«غريب أمر هؤلاء الأمريكيين، لا تاريخ لهم، ولا يقرؤون التاريخ، بلّه أن يتعظوا بما جرى فيه». كان هذا ما فاجأني به صاحبي ذات صباح، وهو يحاورني في علاقة العرب بالقوة العظمى الوحيدة التي استبد بها صلف القوة والسلطان، فلم تعد تتبين ما يستجدّ في عالمنا من تغيرات، ومن ثَمَّ تسعى إلى أن تستجيب لها بتغيير مواقفها وسياساتها وطريقة تعاملها مع سائر دول العالم وشعوبه.

قلت: للقوة والسلطان صلفهما وغطرستهما، ولذلك أرجو ألا تتحسر على الإدارة الأمريكية التي ساء بها حظ العالم عامة، وحظ الأمريكيين خاصة، فلم يعد العالم يعرف ما الذي تخبئه له الأيام القادمة، مثلما لم يعد يعرف الأمريكيون ما الذي حدا بهم إلى انتخاب «الرجل الواعد بالتغيير» الذي تحتاج إليه الولايات المتحدة ويحتاج إليه العالم، بعد السنوات العجاف التي عاشها، والبطل المضاد جورج بوش الابن في البيت الأبيض يأمر وينهى ويدمّر بلده والعالم بوحي من المحافظين المحدثين.

ولكن ما الذي دعاك إلى استنكار جهل الأمريكيين بالتاريخ؟

فقال مستغرباً: كيف ينظر الأمريكيون إلى العرب والمسلمين في أمريكا على أنهم غرباء وأجانب، ومتطفلون حديثو العهد في الولايات المتحدة، وغير مرغوب بهم في هذا البلد، لأنهم فيما يزعمون إنما جاؤوا للمشاركة في خيراته دون أن يكونوا قد أسهموا في اكتشافه أو بنائه، وهم يعلمون حق العلم أن أجدادهم الفينيقيين والمصريين والليبيين القدماء هم أول من اكتشف أمريكا قبل آلاف السنين؟

قلت: على رِسلِك يا صاحبي، كيف تتعجل الحكم بتسمية أول من اكتشف أمريكا، وأنت لا تملك الدليل الواضح والموثق على ما تزعمه؟

قال: العالم كلُّه يعرف ذلك، خلا الأمريكيين الذين ينكرونه.

قلت: لم يعثر المؤرخون بعدُ على دليل قاطع على ما تزعمه أنت وغيرك، ولكن ثمة فيما قرأت مؤخراً ما هو أفضل من هذه الآراء التي تحفزها الرغبات، وتحكمها الأوهام.

قال: هات ما لديك، فأنا في غاية الشوق لسماعه؟

قلت: بالإضافة إلى ما يذكره المؤرخون عن استعانة كريستوفر كولومبوس بالبحارة العرب الموريسكيين في رحلته المشهورة، ثمة دلائل موثقة على مشاركة ثلاثة من العرب في الاستكشاف اللاحق لمناطق واسعة من القارة الأمريكية. وفي حين جاءت مشاركة أولهما وثانيهما في وقت مبكر من القرن السادس عشر، وبالتحديد في العقد الثالث منه (أو بُعيد اكتشاف العالم الجديد من جانب كولومبوس)، فقد جاءت إسهامة الثالث في منتصف القرن التاسع عشر. وإذ تحوّل المستكشفان الأخيران إلى أسطورة لدى الأمريكيين، فقد كتب عنهما الكثير مما يجعلهما بحق مصدر فخر واعتزاز لجميع العرب والمسلمين الأمريكيين، ويعزز من ثَمَّ انتماءهم إلى العالم الجديد.

فألحَّ صاحبي عليَّ بطلب المزيد قائلاً: حدثني بالله عليك عنهما، فالفضول يكاد يقتلني وأنا بحاجة إلى معلومات موثقة أستطيع أن أواجه بها كل من يقلل من شأن العرب والمسلمين الأمريكيين ودورهم في بناء أمريكا التي لا تشكر إسهامهم، على أهميته وخطورته، ولا تقدرهم حق قدرهم.

قلت: فأما الأول منهم فيدعى الزموري الذي أُسِر وبيع عبداً عام 1511م، ثم مالبث أن حُرِّر ونُقِل إلى أمريكا عام 1528م ضمن بعثة استكشاف إسبانية، وهو معروف اليوم بوصفه مستكشفاً عظيماً في جنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية ومعالجاً شهيراً للأمراض ومترجماً ذائع الصيت، على حد ما جاء في التعريف به في عروض المتحف العربي الأمريكي في ديربورن – ميشيغان.

وأما الثاني ويدعى استيفان، أو استيفانيكو، كما كان سيده الاسباني يدعوه، فقد جاء من المغرب العربي، وكان من أوائل من عبروا قارة أمريكا الشمالية من الأطلسي إلى المكسيك مخترقاً مناطق واسعة هي الآن أجزاء من الولايات المتحدة الأمريكية. وتكمن أهمية إسهامه في استكشاف هذه المناطق في أن عمله امتد أكثر من عقد من السنين، وبدأ عام 1528 برحلة اصطحب فيها 300 شخص و40 حصاناً، قضى بعضهم على يد العواصف البحرية في خليج المكسيك، وقتل بعضهم الآخر على يد «الهنود الحمر» الذين أسروا من نجا منهم واسترقوه، إلى أن تمكن استيفانيكو من الهرب مع ثلاثة من صحبه، التقوا بقبيلة أخرى من «الهنود الحمر» هي قبيلة أفافاريس، عاملتهم معاملة حسنة وأفادت من خبراتهم العلاجية، إلى أن عادوا إلى مدينة مكسيكو سيتي عام 1536، ليتحولوا إلى أسطورة حية. وكان استيفانيكو أثناءها عبداً لسيده أندريس دورانتس، ولكن حاكم مكسيكوسيتي أنطونيو مندوزا ابتاعه من سيده وحرره وأرسله عام 1538 في حملة «فراي ماركوس» ليكون دليلاً له في استكشاف المنطقة التي عرفت بمنطقة «مدن كيبولا السبع»، واستمرت الحملة سنتين عاد منها استيفانيكو مظفراً ليعامله الإسبان معاملة الند للند، تقديراً منهم لجهوده الاستكشافية من جهة، ولحاجتهم الماسة من جهة أخرى إلى خدماته العلاجية، إذ كان مقصد جموع الهنود الحمر الذين يطلبون مساعدته.

قال صاحبي مقاطعاً: هذا عن الأول والثاني، ولكن ماذا عن الثالث؟

قلت: وأما الثالث فهو الحاج علي الذي جاء إلى الولايات المتحدة الأمريكية في منتصف القرن التاسع عشر لتدريب الجمال التي استوردها الأمريكيون من الشرق الأوسط والعناية بها، وقد عرف لدى الأمريكيين بـ «العربي الصغير، ذي العيون السوداء الراقصة والابتسامة الحزينة الذي غدا أسطورة على الحدود الغربية»، حتى إنهم أقاموا هرماً على قبره في «كوارتزايت» عام 1936، إنصافاً له من الظلم الذي حاق به نتيجة عدم حصوله على راتب تقاعدي من الحكومة الأمريكية، وكان يستحقه بإجماع كل من اتصل به. ومن المعروف أن الحاج علي (الذي عرف بستة عشر اسماً في الكتابات الأمريكية، على ما يذكره الباحث العربي الأمريكي المرموق ميخائيل سليمان) قد ولد في بلاد الشام عام 1828م، وتوفي في السادس عشر من شهر كانون الأول عام 1902م، وأنه قدم إلى الولايات المتحدة في العاشر من شباط عام 1856.

قال: لقد أثلجت صدري بهذه المعلومات.

قلت: بل إنه ميخائيل سليمان مَن أثلج صدرينا معاً بأبحاثه التي عُني فيها بالأمريكيين المتحدرين من أصل عربي، والتي توجها بهذه المعلومات التي ظهرت في آخر مقالة نشرها، قبل انتقاله إلى جوار ربه قبل أشهر، في المجلة البريطانية لدراسات الشرق الأوسط.

فأضاف صاحبي معلقاً: ولا تنس المسلمين الأفارقة الذين كانوا يعرفون العربية، وكانوا يُصطادون من القارة الإفريقية ويُبحر بهم إلى بريطانيا لِيُباعوا بعدها في الولايات المتحدة بغرض العمل في الزراعة وغيرها. وربما كان من أشهرهم (أيوب بن سليمان) الذي اختطف في القرن الثامن عشر، واقتيد للعمل في مزرعة للتبغ في ميريلاند، وتباع اليوم صورته بالمزاد العلني، بل تُجمع لها التبرعات لتبقى في حوزة «صالة الصور الوطنية» National Portraits Gallery في لندن نظراً لأهميتها التاريخية والفنية.

قلت: بل إن ما كتبه المسلمون الأفارقة من قصص تشكل اليوم تحدياً لما يسمى بالتقليد الأدبي الأمريكي نظراً لفرادتها وإثارتها ولما تنطوي عليه من قيم فنية وإنسانية جديرة بعناية دارسي الأدب المقارن «1».

1- انظر بغرض الاطلاع على تفاصيل أوسع:

Ronald A. T. Judy,

Dis)Forming the American Canon: African Arabic)

Slave Narratives and the Vernacular

University of Minnesota Press, Minneapolis and)

(1993 ,London